خامساً : الرسائـل والعهـــود :

إن كتابة الرسائل والعهود ترافق الحضارة والاستقرار ، ولمّا كانت الممالك العربية التي لا تشغل من الجزيرة العربية إلّا أقلّها ، لا تنضوي تحت ألوية الملوك من العرب ، لذا قلّـــــت الرسائل والعهود المدوّنة . ومن هـ ١١ القليل الرسالة الشعرية للشاعر لقيط بن يعمر الإيـادي الى قومه حي حذّرهم من غزو كسرى لهم ، إذ كان يعمل كاتباً ومترجماً في ديوان كســرى ، قائلاً :

يا أيها الراكب المزجي مطيته الى الجزيرة مرتـــــاداً ومنتجِعـــا

أبلغ إياداً وخلّل في سراتهـمُ إني أرى الرأي إن لم أعص قد نصعـا

الى آخر القصيدة التي وصلت الى قومه واستعدّوا وهزموا الفرس ، ممّا أثار غضب كســـرى الذي عرف بالأمر ، فأمر بقطع لسان لقيط ، وخلع عينيه ، ومات لقيط ، ونجت قبيلتـــــه .

أمّا (صحيفة المتلمس) ، فهي شديدة الإيجاز تشبه البرقية ، يأمر فيها ملك الحيرة عاملـه في البحرين أن يقتل المتلمس ونصّها : (باسمك اللهم من عمرو بن هند الى المكعبر ، أمّـــا بعد : فإذا أتاك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً) .

إنّ الرسائل في العصر الجاهلي على أنواع ، فمنها ما هو مكتوب ومنها ما يروى شفاهاً على اللسان ، وهناك ما يرسل من عربي الى آخر في بلاد العرب ، وما يرسل من عربـــــي الى أجنبي خارج بلاد العرب .

أمّا أهم ما يميّز الرسائل سواء الشفهي منها أم المكتوب فهو :

الإيجاز : إذ تعبّر الرسائل عن الأفكار بأقصر الجمل وأوضح الألفاظ ، ومن مظاهـــــــــر الإيجاز الزهد في المقدمات والولوج الى الغرض بلا تمهيد ، أو التمهيد بجملة تقليدية مألوفـة هي ذكر اسم الله ، وقد تميّزت رسائل قريش بأنها تبدأ بعبارة (باسمك اللهم) ثم استبدلت بعـد الاسلام بعبارة (بسم الله الرحمن الرحيم) ، ويبدو أنّ هذه المقدمة

كانت متّبعة قبل الاســلام ، إذ أوردها القرآن فاتحة لرسالة النبي سليمان (ع) الى ملكة سبأ .

العهـــود :

عرف العرب العهود شفهية ومكتوبة ، ومن أشهر العهود المدوّنة في الجاهلية : الحلــف الذي عقده عبد المطّلب بن هاشم مع خزاعة ، إذ يروي الطبري أنّ المتحالفين دخلوا الكعبــة وكتبوا كتاباً منه : (باسمك اللهم .. هذا ما تحالف عليه عبد المطّلب بن هاشم ورجـــــالات عمرو بن ربيعة من خزاعة على التناصر والمواساة .. حلفاً جامعاً ..) .

ويبدو أنّ الرسائل والعهود متقاربة في الاسلوب ، فالنصوص قصيرة ، والمقدمات أقصــر ، والسجع والصور ، والإيقاع الصوتي ، يضفي على فصاحة اللغة زينة لا تطغى علـــــى وضوح الفكرة .